مجلة اللساني، المجلد (1) – العدد (2) ربيع 2021م (ص ص89-105)

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

قراءة في شاهد نحوي قديم من خلال نموذج نحو الخطاب الوظيفي

أ.د. يحيى بعيطيش
جامعة الملك خالد/ السعودية
yahia.baitiche@gmail.com

الملخص:

تحاول هذه الدراسة أن تقدم قراءة نحوية وظيفية حديثة لنص شاهد نحوي قديم ممثلا في شاهد نحوي معروف يتعلق بحذف كان وأخواتها، وهو:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

وهذا انطلاقا من مقاربة وظيفية تداولية، تستثمر مبادئ نظرية النحو الوظيفي وأساسياته "سيمون ديك *1987*" وآخر نماذجه، وهو نموذج نحو الخطاب الوظيفي (ن خ و)، ممثلا في أعمال "لاشلون ماكينزي وكيس هنحلفند *2008*" و"أحمد المتوكل *2011*".

الكلمات المفاتيح:

لسانيات النص، قراءة نحوية وظيفية، شاهد نحوي قديم، نظرية النحو الوظيفي، نموذج نحو الخطاب الوظيفي

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

Lecture dans un Ancien Témoignage Grammatical à Travers le Model de la Grammaire Fonctionnelle du Discours

Pr. Yahia Baitiche
King Khalid University
yahia.baitiche@gmail.com

***Abstract*:**

La présente étude « Lecture dans un ancien témoignage grammatical à travers le model de la grammaire fonctionnelle du discours» tente de présenter un nouveau projet d'analyse de discours, qui inspire les fondements de la grammaire fonctionnelle (S. Dik1987) et ses derniers modèles (L. Mackenzie, K. Hangeved 2008, A Moutaouakil 2011) grammaire fonctionnelle de discours(GFD).

***Keywords*:**

Ancien témoignage grammatical, grammaire fonctionnelle, grammaire fonctionnelle de discours.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

تتخذ

تتخذ الدراسة لنفسها الخطة التالية:

أولا: مدخل الدراسة: نقدم فيه ملخصا موجزا لمنهجية تحليل الشاهد النحوي القديم في نموذج النحو القديم (الخطوات مستخلصة من شرح الشاهد 74 في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (المرجع نفسه، ص ص261ـ 279).

ثانيا: نموذج نحو الخطاب الوظيفي الحديث: نقدم فيه ملخصا موجزا يقوم على مستويين أساسيين: قسم نظري: نعرض فيه المستويات الأساسية لهذا النموذج (نعيمة الزهري، الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي، ص222.): المستوى الإبلاغي بطبقاته الثلاث: طبقة الفضاء التخاطبي، وطبقة نمط الخطاب، وطبقة أسلوب الخطاب. والمستوى العلاقي بطبقاته الثلاث: الطبقة الاسترعائية، والطبقة الإنجازية، والطبقة الوجهية. والمستوى التمثيلي بطبقاته: الطبقة التأطيرية، والطبقة التسويرية، والطبقة الوصفية، والمستوى البنيوي الذي يشمل البنية الصرفية –التركيبية- التطريزية: وتجسد فيها المستويات السالفة بطبقاتها المختلفة، وفقا لخصائصها البنيوية الصرفية التركيبة والصوتية الفونولوجية... أما القسم التطبيقي، فنقدم فيه تحليلا لنص بيت الشاهد الشعري، نستثمر فيه المفاهيم الإجرائية المقدمة في الجانب النظري، نحلل من خلالها البنية التحتية والبنية المكونة لنص الشاهد: البنية التحتية لنص الشاهد: نحدد فيها تحقق مستويات نص الشاهد التبليغي والعلاقي والتمثيلي بكل طبقاتها المذكورة في القسم النظري، والبنية المكونية (السطحية) لنص الشاهد: تتجسد فيها مستويات البنية التحتية المجردة بكل طبقاتها، من خلال البنية الصرفية- التركيبية- التطريزية؛ بحيث تتحقق كل طبقة وفقا لخصائصها البنيوية والصوتية الفونولوجية المناسبة لها.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

أولا: مدخـل الـدراســة:

نعرض في هذا المدخل لمنهجية تحليل نص الشاهد النحوي القديم الآتي:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع[1]

تقوم هذه المنهجية على الخطوات التالية:

أ. لمحة موجز عن صاحب الشاهد[2]:

بيت هذا الشاهد لعباس بن مرداس، يخاطب خفاف بن ندبة أبا خراشة، وهو من شواهد سيبويه، وخفاف بزنة غراب، شاعر مشهور من شعراء قيس وفارس مذكور من فرسانها، وهو ابن عم صخر ومعاوية وأختهما الخنساء الشاعرة المشهورة، وندبة (بضم النون أو فتحها أمه)، واسم أبيه عمير..

ب. اللغة:

ذا نفر: يريد ذا قوم تعتز بهم، وجماعة تمتلئ بهم فخرا، الضبع: الحيوان المعروف، استعاره عرب الجاهلية للسّنة الشديدة المجدبة، فقالوا أكلتنا الضبع، ذلك أن الضبع إذا وقعت في غنم عاثت، ولم تكتف من الفساد بما يكتفي به الذئب أو السبع من إشباع الجوعة.

وبذلك يكون المعنى: يا أبا خراشة إن كنت كثير القوم، وكنت تعتز بجماعتك، فإن قومي موفورون كثيرو العدد، لم تأكلهم السنة الشديدة المجدبة، ولم تضعفهم الحرب ولم تنل منهم الأزمات.

ج. الإعراب:

أبا: منادى حذفت منه ياء النداء، وأبا مضاف، وخراشة مضاف إليه، أما: هي عبارة عن أن المصدرية المدغمة في ما الزائدة النائبة عن كان المحذوفة، أنت: اسم لكان المحذوفة، ذا: خبر كان المحذوفة، وذا مضاف، ونفر مضاف إليه، فإن: الفاء تعليلية، إن: حرف توكيد ونصب، قومي: قوم اسم إن وهو مضاف، والياء ضمير المتكلم مضاف إليه، لم: حرف نفي وجزم وقلب، تأكلهم: فعل مضارع مجزوم بلم، والضمير مفعول به، الضبع: فاعل مرفوع، والجملة من الفعل والفاعل في محل رفع خبر إن.

[1]. الشاهد 74 في شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ص261.

[2]. ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ص297.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

د. الشاهد:

قوله: "أما أنت ذا نفر" حيث حذف كان التي ترفع الاسم وتنصب الخبر، وعوض عنها "ما" الزائدة وأدغمها في نون أن المصدرية، وأبقى اسم كان، وهو الضمير البارز المنفصل، وخبرها هو قوله "ذا نفر".

وأصل الكلام عند البصريين: فخرت على "لأن كنت ذا نفر، فحذفت لام التعليل ومتعلقها، فصار الكلام أن كنت ذا نفر، ثم حذفت كان لكثرة الاستعمال، قصدا إلى التخفيف، فانفصل الضمير الذي كان متصلا بكان؛ لأنه لم يبق في الكلام عامل يتصل به هذا الضمير، ثم عوض من كان بما الزائدة، فالتقى حرفان متقاربان، وهما نون أن المصدرية وميم ما الزائدة فأدغما، فصار الكلام: **أما أنت ذا نفر**.

هذا وقد روى ابن دريد وأبو حنيفة الدينوري، في مكان هذه العبارة "إما كنت ذا نفر"، بكسر همزة إن وعلى روايتهما لا يكون في البيت شاهد لحذف كان[1].

ثانيا: ملخص موجز عن منهجية تحليل النصوص في نموذج نحو الخطاب الوظيفي[2]:

1. القسم النظري:

تقوم منهجية تحليل بنية النص أو الخطاب أيا كان حجمه (نصا، جملة، مركبا، كلمة) على فحص أو تحليل بنيتين أساسيتين:

1.1. البنية التحتية: وتشمل بصفة مجملة ثلاثة مستويات أساسية: هي على التوالي: المستوى الإبلاغي، والمستوى العلاقي، والمستوى التمثيلي، حيث يضم كل مستوى ثلاث طبقات... يمكن توضيحها كالآتي:

1.1.1. المستوى الإبلاغي[3]: هو محل التمثيل لخصائص خطابية أساسية، كالمركز الإشاري المحدد للمتخاطبين، وزمان ومكان التخاطب، والنمط الذي ينتمي إليه الخطاب، والأسلوب الذي اختاره المتكلم أو الكاتب المبدع.. ويضم ثلاث طبقات:

[1]. المرجع نفسه، ص298.

[2]. ينظر نعيمة الزهري: الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي، ص ص221-243.

[3]. آثرنا استعمال مصطلح "الإبلاغي" المتعلق بالتواصل، خلافا لمصطلح "البلاغي" الذي درج على استعماله في نموذج نحو الخطاب الوظيفي، إذ قد يفهم منه الجانب الفني المتعلق بالبلاغة، في حين أن المقصود غير ذلك.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

أ. طبقة الفضاء التخاطبي: وتتجسد في ضمائر التكلم والخطاب والعبارات الدالة على العلاقات الذاتية والاجتماعية بين المتخاطبين.

ب. طبقة نمط الخطاب: تؤشر للغرض التواصلي المستهدف، يحدد من خلاله طبيعة النص والتمييز بين الخطاب السردي والمحادثة العادية، والخطاب العلمي والخطاب الفني، والخطاب التعليمي والخطاب الترفيهي...

ج. طبقة أسلوب الخطاب: يتحدد من خلاله النهج المتبع المميز لأسلوب النص، أهو أسلوب علمي أم أدبي فني، أو أسلوب رسمي أو غير رسمي، حميمي أو غير حميمي، مهذب أو غير مهذب..

2.1.1: المستوى العلاقي: وتتم فيه إقامة علاقة بين المتكلم والمخاطب من جهة، وبينه وبين فحوى خطابه من جهة أخرى، ويشتمل على ثلاث طبقات:

أ. الطبقة الاسترعائية: تحتضن العبارات اللافتة لانتباه المخاطب؛ كأن ينوي المتكلم افتتاح حديث أو محاورة معه أو إبقاءها أو إنهاءها أو تمطيطها، وبالتالي نكون بصدد فواتح وأحشاء وخواتم..

ب. الطبقة الإنجازية: تهتم بالدور الذي يتخذه المتكلم إزاء مخاطبه، كأن يكون مخبرا أو مستفهما أو آمرا أو ناهيا.. وقد تكون العلاقة الإنجازية مباشرة أو غير مباشرة.

ج. الطبقة الوجهية: تحدد موقف المتكلم من فحوى خطابه، متوسلا بالسمات الوجهية الذاتية أو المرجعية كأن يكون شاكا أو متيقنا أو مترددا، أو العكس من ذلك.

3.1.1. المستوى التمثيلي: يتعلق بوصف الواقعة التي تدل في أدبيات النحو الوظيفي على عمل أو حدث أو وضع أو حالة، وما يصاحبها من ذوات تساهم في تحقق تلك الواقعة بمختلف أنواعها، مع ملاحظة أن الوقائع والذوات التي يتضمنها خطاب ما، هي صورة ذهنية للوقائع والذوات التي توجد في الواقع الخارجي، وليست هي الواقع الحقيقي[1].. ويأوي المستوى التمثيلي ثلاث طبقات:

أ. الطبقة التأطيرية: تحدد الإطار الزماني والمكاني والمعرفي الذي تتحقق فيه الواقعة أو الذات المحال عليها..

ب. الطبقة التسويرية: يؤشر فيها لحجم أو عدد الوقائع والذوات المحال عليها، كالأعداد والأسوار (كل، بعض) بالنسبة إلى الذوات، وبعض السمات الجهية، مثل: متكرر معتاد، مستمر منقطع، غالب نادر، بالنسبة إلى الوقائع.

[1]. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص89.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ج. الطبقة الوصفية: تؤشر لنمط المحال عليه، سواء كان واقعة أم ذاتا، كما تحدد بعض السمات الجهية من قبيل الجهة "تام" في مقابل الجهة "غير تام"..

2.1. البنية المكونية (البنية السطحية): وهي البنية (الصرفية- التركيبية- التطريزية) التي تتجسد أو تتحقق من خلالها طبقات المستوى الإبلاغي والعلاقي والتمثيلي، السابق ذكرها في البنية التحتية، ذلك أن المستويات السابقة بطبقاتها المختلفة على مستوى البنية التحتية هي عبارة عن مؤشرات مجردة، تنتقل إلى التحقق في شكل مورفيمات وصيغ صرفية وتراكيب جملية (اسمية وفعلية) وغير جملية (تراكيب ظرفية وحرفية وصفية وإضافية...) وروابط مختلفة: جملية "تربط بين عناصر الجملة، أو نصية تربط بين جمل وفقرات النص.. فضلا عن التحقق التطريزي (الصوتي الفونولوجي) الذي تتجسد من خلاله الجملة أو النص في شكلهما الشفهي المنطوق أو الطباعي المكتوب.. وستتضح كل هذه الأمور في القسم التطبيقي في مكانه المناسب من هذه الدراسة.

2. القسم التطبيقي:

ويقوم على نقل البنية التحتية والبنية المكونة بمستوياتهما وطبقاتهما المختلفة من مجالهما النظري المجرد إلى مجالهما التطبيقي المحقق في شكل جمل أو نص، من خلال فحص البنيتين التحتية والمكونية لنص الشاهد:

1.2. تحققات البنية التحتية لنص الشاهد:

1.1.2. تحققات طبقات المستوى الإبلاغي:

أ. طبقة الفضاء: المنطلق فيها هو البحث عن صاحب النص في نصه، وقد تم التأشير له صراحة ب: بمواجهة الشاعر عباس بن مرداس لخباب بن ندبة (أبي خراشة)، وهو خطاب ذاتي مباشر من الشاعر الأول إلى الثاني، انعكس في حضور الشاعر الأول في نص الشاهد مع ضمائر المخاطب "أنت ذا نفر"، وياء المتكلم "قومـــيـــي".

ب. طبقة نمط الخطاب: يدخل نص الشاهد بشكل صريح في نمط خطاب ذاتي، مصدره الشاعر المتكلم بوصفه ذاتا مبدعة، لون نصه بأحاسيسه وانفعالاته المشبعة باعتزازه بقبيلته، فقد تجسدت ذاتية الخطاب في مناداة خصمه ولفت انتباهه إلى أن قبيلته لا تقل عددا وعدة عن قبيلته؛ بل تفوقها بأسا وغنى، فلا تنال منها الحروب الطاحنة، ولا السنوات الشداد المجدبة..

ج. طبقة أسلوب النص: أسلوب إبلاغي (شعري)، نقل من خلاله الشاعر مشاعره باعتزازه بقوة قومه وعزتهم وشجاعتهم وكثرة عددهم، متوسلا باختيار نحوي تركيبي، تجسد في حذف حرف النداء

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وحذف كان، واختيار معجمي دقيق للفظة "الضبع" بدل ألفاظ أخرى، كما سيفصل في مكانه المناسب.

2.1.2. تحققات طبقات المستوى العلاقي:

أ. الطبقة الاسترعائية: وتتجسد في علاقة الشاعر بخصمه، مما يدل على أننا في هذا النص أمام استرعاء تام متجسد في عملية تبليغية متكاملة العناصر، كما يمثله نموذج جاكبسون[1]:

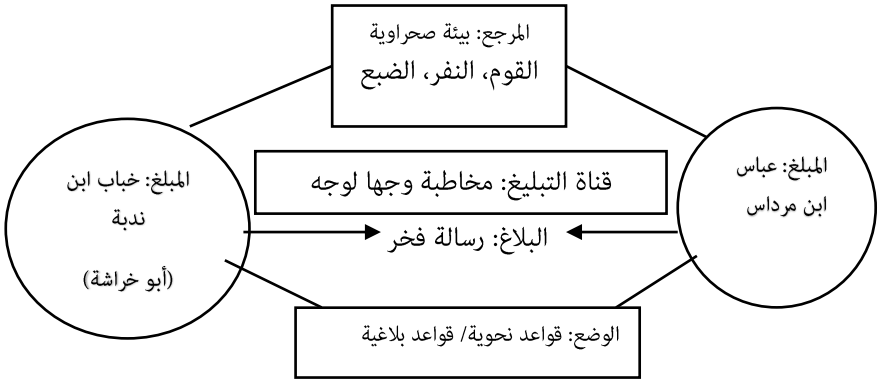

ب. الطبقة الإنجازية: يمكن القول بأن القوة الإنجازية المعتمدة في نص هذا البلاغ، هي نص إبلاغي، هيمن عليه طرف واحد هو المبلِّغ، دون رد من المبلَّغ، فهو خطاب إنشائي ذاتي تصدرته جملة ندائية، تلتها جملتان خبريتان، وبذلك يتضح تحقق الطبقة الاسترعائية من خلال انتقاء الشاعر المستوى التبليغي المناسب، وهو مواجهة خصمه وجها لوجه، عن طريق النداء المباشر..

ج. الطبقة الوجهية: وتتعلق بمواقف الشاعر الذاتية، التي تجسدت فيما ورد في نص شاهده من مواقف ذاتية، جسدت انفعالاته وأحاسيسه، وعكست العاطفة الجياشة التي تربطه بقبيلته واعتزازه بالانتماء إليها وذلك باختيار الصيغ الصرفية التركيبية المناسبة؛ كعبارة "ذا نفر"، الدالة على الكثرة،

[1] . ينظر:

Vanoye Francis., (1973), p: 13.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

وصيغة الفعل المضارع المجزوم "لم تأكلهم" الدالة على المضي وعلى الاستمرار المتصل بالحاضر، فضلا عن تيقنه من مضمون بلاغه الذي أكده في الشطر الثاني "فإن قومي لم تأكلهم الضبع".

إضافة إلى التنغيم الصاعد المصاحب لجملة النداء في بداية الشطر الأول، والتفخيم المناسب مع "أما" المصاحب للبؤرة الجديد في الجملة الخبرية "أما أنت ذا نفر" الموالية لجملة النداء، إضافة إلى النبر الصاعد المناسب لبؤرة المقابلة في الجملة الخبرية المؤكدة "فإن قومي لم تأكلهم الضبع" السالفة الذكر.

3.1.2. تحققات طبقات المستوى التمثيلي:

يتجسد هذا المستوى في تحقق جميع الوسائل اللغوية التي قوم بها الشاعر الوقائع الواردة في نص الشاهد الإبداعي، من حيث حظوظ إمكانية تحقق هذه الوقائع، أو التيقن من تحققها أو احتماله أو وجوبه أو امتناعه[1]، وباستحضار وقائع نص الشاهد نلاحظ هيمنة الوجوه الذاتية المتعلقة بتجسيد مشاعر الشاعر القوية باعتزازه بشجاعة قومه وكثرتهم، ثم الوجه المؤكد لواقعة بأس قبيلة الشاعر ووفرة نعمها؛ إذ لا تنال منهم مجاعة الحروب الطاحنة أو السنوات العجاف، وقد تحققت طبقات هذا المستوى على الشكل التالي:

أ. الطبقة التأطيرية: يلاحظ أن السمة الزمنية المهيمنة في النص الأدبي بصفة عامة، ونص هذا الشاهد موضوع دراستنا- بصفة خاصة، هي حاضر التخاطب (le présent d'énonciation)[2]؛ أي زمن الفعل اللغوي الذي هو فعل الكتابة أو الإنشاد، وتمثل هذا في أفعال نص بيت الشاهد التي وردت بصيغة الماضي "أما كنت ذا نفر في الشطر الأول" وبصيغة المضارع المجزوم "لم تأكلهم الضبع" في الشطر الثاني "وكلاهما دل على حاضر التخاطب المصاحب لزمن الإنشاد.

ب. الطبقة التسويرية: ينتمي الفعلان الواردان في نص بيت الشاهد إلى الجهة "التمام"، سواء تعلق الأمر بفعل "كان" المحذوفة أو الفعل "تأكلهم" الوارد في سياق الفعل المضارع المنفي بـ"لم" على واقعة الأكل التي تمت فعلا مع الفعل "لم تأكلهم"، وجهة التمام مع كان المحذوفة، ولا تزال جهة التمام مستمرة ودائمة في حاضر التخاطب المصاحب لزمن الإنشاد الذي سبقت الإشارة إليه، إضافة إلى السورين الدالين على الكثرة مع لفظتي "نفر وقوم".

[1]. ينظر أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص ص134-135.
[2]. ينظر: ينظر نعيمة الزهري: الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي، ص236

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ج. الطبقة الوصفية: وتخص في أدبيات نظرية النحو الوظيفي: تصنيف الوقائع في أربع وقائع أساسية: أعمال أحداث حالات أوضاع[1]... وقد اقتصرت الوقائع في نص الشاهد على واقعة واحدة هي واقعة حدث الأكل في الشطر الثاني "لم تأكلهم الضبع" الدالة على جهة التمام والاستمرار، في حين أن الفعل كان في الشطر الأول، سواء كانت محذوفة أو محققة، هي رابط زمني لا يدل على واقعة في أدبيات النحو الوظيفي[2].

2.2. تحققات البنية المكونية لنص الشاهد:

يشكل هذا المستوى البنية المكونية (البنية السطحية) بالمفهوم التوليدي التحويلي المتجسدة في البنية (الصرفية ـ التركيبية ـ التطريزية)، فضلا عن المستوى البلاغي، على اعتبار أن هذا الشاهد هو نص شعري، تنعكس فيه تحققات البنيات السابقة بنيويا، من خلال تضافر الخصائص الصرفية- التركيبية والبلاغية والتطريزية بتنوعاتها المختلفة:

1.2.2. تحقق البنية الصرفية- التركيبية: وتشمل هذه البنية في أدبيات النحو الوظيفي ثلاثة مستويات أساسية:

أـ تحقق المستوى الصرفي التركيبي: سبقت الإشارة في الطبقة التسويرية أن صيغ محمولات نص الشاهد الصرفية، توزعت بين صيغتي الماضي والمضارع المجزوم الدال على الماضي المتصل بالحاضر اللتان تؤولان على المستوى التركيبي الجملي إلى جملتين: اسمية " أنت ذا نفر " و فعلية " فإن قومي لم تأكلهم الضبع"[3]، ترابطت فيما بينها مكونة نسيج نص هذا الشاهد الشعري المليء بالحيوية والحركة والثبات على صفات العزة والشجاعة والغنى.

ويمكن عرض روابط نسيج نص هذا الشاهد النحوي عرضا خطيا أفقيا وعموديا، كما يلي:

ـ أبا خراشة$_{1}$، أما أنت ذا نفر$_{2}$، فإن قومي لم تأكلهم الضبع $_{3}$

ج$_{1}$: أبا خراشة:

ج$_{2}$: أما أنت ذا نفر

[1]. ينظر أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي، ص ص18-22.

[2]. ينظرأحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية، ص ص36 ـ 52.

[3]. الجملة الفعلية في أدبيات النحو الوظيفي هي التي يكون محمولها فعلا، بغض النظر عن المكونات الخارجية التي تسبقها كالمبتدأ أو المنادى، أو الداخلية كالرابط "كان أو إن" كما هو الحال مع جملة الشاهد "فإن قومي لم تأكلهم الضبع"

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

رابط: ف

ج3: إن قومي لم تأكلهم الضبع

ويمكن تجميع جمل النص في هذا الشكل المشجر:

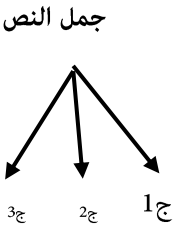

كما يلاحظ في نسيج نص الشاهد انعدام الروابط العطفية واعتماد بيت الشاعر على رابط واحد، هو رابط الفاء، التي تربط الجملة الأولى والثانية بالجملة الثالثة، أو الشطر الأول بالشطر الثاني، وتفيد التعليل في الشاهد النحوي الذي تبدأ فيه الجملة الثانية بـ"أما" المفتوحة الهمزة، وهي الفاء الرابطة لجواب الشرط التي تربط جملة فعل الشرط المكون من الجملة الندائية والجملة الاسمية الثانية التي تبدأ "بإما" المكسورة الهمزة، بالجملة الثالثة التي هي جملة جواب الشرط الذي ينتهي بها الشطر الثاني في الرواية الأخرى، ولعل الترسيمة الموالية توضح ذلك:

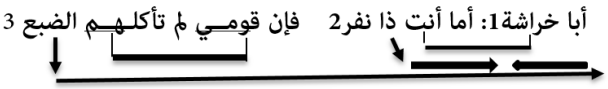

انطلاقا من هذه الترسيمة، نلاحظ بوضوح اعتماد بيت نص الشاهد على الروابط الإحالية الضميرية التي تربط الجملتين الثانية والثالثة بالجملة الندائية الأولى التي كان محط النداء فيها منصبا على خصم الشاعر(أبي خراشة)، حيث تم الربط برابطين إحالين داخليين هما: ضمير المخاطب "أنت" الذي يحيل مباشرة على الخصم المبلغ بفتح اللام (أبي خراشة)، وضمير الغائب "هم" المحيل على قوم الشاعر المبلغ بكسر اللام (عباس ابن مرداس)، ثم يأتي الرابط الخارجي "الفاء" التي تعلل ربط الجملة الثالثة في الشطر الثاني بالجملة الأولى والثانية في الشطر الأول على حسب رواية الشاهد الأولى أو تربط جملة جواب الشرط "الجملة الثالثة، بجملة فعل الشرط في الجملة الثانية، على حسب الرواية الأخرى.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

ب. تحقق الوظائف الدلالية:

ويمكن ملاحظتها في قيود التوارد التي تعرف في اللسانيات بصفة عامة وفي أدبيات النحو الوظيفي بقيود الانتقاء، وهي جملة القيود الدلالية التي تتواشج بموجبها كلمات جمل النص فيما بينها، انطلاقا من السمات الدلالية التي تفرضها محمولات جمل النص الدالة (على العمل أو الحدث أو الوضع أو الحالة) على الموضوعات التابعة لها، بحيث تأخذ على التوالي وظيفة "المنفذ" أو "المتقبل" أو "المتموضع" أو "الحائل"؛ إذ إن خرق هذه القيود على مستوى اللغة العادية يؤدي إلى الخطأ أو اللحن اللغوي[1] غير أن ما يميز اللغة الفنية بصفة عامة وأدبية النص الأدبي (الشعري) بصفة خاصة، هو خرق هذه القيود بحيث تخرج عن التناسب الدلالي في اللغة العادية لتحقق التشويه الفني الذي يحقق أدبية النص الإبداعي، غير أن البيت الشعري لنص الشاهد لم يتجسد فيه أي خرق دلالي على قيود توارد المحمولات الواردة في نص هذا الشاهد، فارتباط ألفاظ النص فيما بينها على المستوى الدلالي بصفة خاصة، كان ارتباطا عاديا جعل من لغة النص لغة عادية، تهيمن عليها الوظيفة الإخبارية أو المرجعية التي تجعلها بعيدة عن الوظيفة الشعرية أو البلاغية.

ج. تحقق الوظائف التداولية[2]:

وتتعلق بالمعلومات المتبادلة بين المتخاطبين أثناء عملية التخاطب، وهي في نص الشاهد تتجسد في عملية إبلاغية أحادية الاتجاه، توزعت على ثلاث وظائف أساسية هي: وظيفة المنادي الخارجية التي كان فيها أبو خراشة محط النداء، ووظيفتان داخليتان: المحور والبؤرة، توزعت في نص الشاهد كالآتي:

المحور: اشتمل نص الشاهد على محورين أساسيين، ارتبط أولهما بالمبلغ أبي خراشة من خلال ضمير المخاطب "أنت"، وارتبط آخرهما بالشاعر المبلغ (عباس ابن مرداس) وقومه من خلال عبارتي "قومي" وضمير الغائب "هم" في عبارة "قومهم".

ـ البؤرة: وشملت بؤرة الجديد، في عبارة: ذا نفر، وبؤرة المقابلة في عبارة: أن قومي لم تأكلهم الضبع

2.2.2. تحقق المستوى البلاغي:

اعتمدت أدبية أو فنية هذا النص بصفة خاصة على تقنية الاختيار أو الانتقاء على المستوى النحوي التركيبي والمعجمي، كما سبقت الإشارة إليه، فضلا عن توظيف صورتين بيانيتين نابعتين بصورة عفوية من بيئة الشاعر، فقد اعتمد الشاعر كما يبدو في الرواية الأولى لنص الشاهد على

[1]. ينظر أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص ص134-135.
[2]. ينظر أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

خاصية الحذف بحذف ياء النداء في الجملة الندائية الأولى "أبا خراشة" وحذف كان باختيار فتح همزة "أما" في الجملة الثانية "أما أنت ذا نفر"، ليربط في الأخير جملتي الشطر الأول بالجملة الثالثة "فإن قومي لم تأكلهم الضبع" بالفاء الدالة على التعليل في الشطر الثاني، أو الفاء الرابطة لجواب الشرط في الرواية الأخرى، وبذلك يتضح أن متلقي هذا الشاهد النحوي أمام اختيارين تركيبين نحويين: اختيار فتح همزة "أما" أو اختيار كسرها؛ أي اختيار حذف كان في رواية الشاهد، وإثباتها في الرواية الأخرى، ولعل أقربها إلى قصد الشاعر هي رواية إثبات كان التي يفيد فعل الشرط فيها "إن كنت ذا نفر" احتمال كثرة قوم خصم الشاعر وشجاعتهم، ليؤكدها ويثبتها لنفسه في جملة جواب الشرط "فإن قومي لم تأكلهم الضبع".

كما وظف الشاعر صورتين بيانيتين: إحداهما كناية بسيطة عادية، في جملة "أنت ذا نفر" تدل على الكثرة، وهي تعكس وظيفة إبلاغية خالية من الوظيفة البلاغية أو الشعرية؛ إذ لا خرق فيها لقيود التوارد الدلالي، كما سبقت الإشارة إليه؛ إذ من المألوف والمعروف من عادات وقيم الجاهليين التفاخر بشجاعة القبيلة وكثرة، عددها وعتادها.. وأما الأخرى فكانت استعارة إدراكية في قوله: "فإن قومي لم تأكله الضبع "انتزعها الشاعر من بيئته الصحراوية المعروفة عند قبيلته، وقبيلة خصمه الشاعر خفاف بن ندبة؛ إذ كان العرب يستعيرون "أكل الضبع" للسنة المجدبة" أو الحرب الطاحنة التي تأكل القوم أكل الضبع، لينقل لنا الصورة الفظيعة المرعبة لفتك الضبع بجثث الموتى أو القتلى عقب مجاعة قاسية أو معركة طاحنة؛ إذ لا يكتفي الضبع بنهش أو أكل جثث الأموات أو القتلى ليسد جوعته؛ بل يمزقها شر تمزيق متلذذا بتشويهها والتنكيل بها، بخلاف الحيوانات المتوحشة الأخرى، وعلى رأسها "الأسد" مثلا، الذي يكتفي بسد جوعته دون أن يسلك مسلك الضبع الخسيس اللئيم.

وبعبارة أخرى، يمكن القول: إن الشاعر قد نجح في توظيف هذه الاستعارة الإدراكية بفضل انتقائه للفظة "الضبع" على المستوى المعجمي بدل ألفاظ أخرى، محققا ما يعرف في الأسلوبية الحديثة بتقنية إسقاط محور الاختيار على محور التركيب[1]، فلو استبدل الشاعر كلمة "السبع" بكلمة "الضبع" التي لا تغير من وزن البيت، لكانت غير ملائمة للمعنى الذي قصده الشاعر، ولضاع هذا المعنى الفني الإضافي الدقيق الذي قصده الشاعر قصدا؛ لأن الضبع معروف بهذا السلوك الغريب الفظيع في البيئة الجاهلية، وهو المعنى المقصود الذي قصد الشاعر تبليغه لخصمه.

[1]. ينظر عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص28.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

3.2.2. تحقق المستوى التطريزي:

يمثل نص الشاهد قطعة شعرية من الطراز القديم يتحقق أساسا في القالب التطريزي لكل نص شعري، الذي يشمل سمات النبر والتنغيم، والموسيقى الداخلية الناتجة عن تكرار بعض الأصوات، والموسيقى الخارجية الناتجة عن تكرار التفعيلات العروضية للبحر الذي يختاره الشاعر:

1. سمات النبر والتنغيم: وتشمل تحقيق المستوى الصوتي-الفونولوجي لنص الشاهد، بتجسيد سمات النبر على الوظائف التداولية (نبر بؤرة الجديد، وبؤرة المقابلة بصفة خاصة)، وسمات التنغيم على جمل النص التنغيم المائل النازل " " للجمل الخبرية بسهم واحد أو بسهمين، والتنغيم المائل الصاعد" " للجمل الندائية، فضلا عن الخط الأفقي فوق الجملة أو العبارة " " الخاص بنبر ببؤرة الجديد، والخط المائل الصاعد" " لنبر بؤرة المقابلة فوق العبارة أو الجملة، إضافة إلى سمات الوقف" // " التي يتحقق من خلالها أداء القراءة المسموعة لنص الشاهد أو إنشاده، ويمكن توضيح ذلك في نص بيت الشاهد كما يلي:

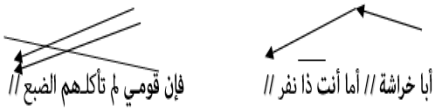

حيث تدل الكتابة "بالبنط العريض" في مثل كلمة "خراشة" على المنادى محط النداء وعلى الضمير العائد عليه، بأنه محور منبور، والخط القصير المائل على النبر الواقع على بؤر الجديد، في الجملة الثانية في الشطر الأول، والخط النازل عليها على التنغيم العادي المصاحب للجملة الخبرية الموجهة إلى المخاطب الخالي الذهن، ويدل تنغيم الخطين النازلين فوق الجملة الخبرية الثالثة في الشطر الثاني على تأكيد الخبر لأبي خراشة الذي قد يكون شاكا في مضمون الخبر، والخطين المائلين المتوازيين (//) على الوقف أو الوقفات القصيرة بين جمل البيت الشعري.

2. الموسيقى الداخلية لنص الشاهد: يلاحظ غالبا على النص الأدبي بصفة عامة، والنص الشعري بصفة خاصة، تكرار بعض الأصوات لتحقيق الموسيقى الداخلية للنص، وفي هذا السياق يمكن ملاحظة تكرار أصوات المد للألف الطويلة في جملة النداء "أبا خراشة"، وفي الجملة الخبرية الثانية "أما أنت ذا نفر" في الشطر الأول، وصوت المد الطويلة للياء في كلمة "قومي"، بامتداداتها المنسابة لعملية الإبلاغ التي اختارها الشاعر لمضمون رسالة الفخر التي وجهها إلى خصمه أبي خراشة حيث كون تكرار هذه الأحرف موسيقى داخلية عالية ملائمة لموقف الشاعر من خصمه الذي يستوجب رفع الصوت ونبر بعض المقاطع والكلمات والعبارات.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

3. البنية العروضية: وفضلا عن توظيف القواعد النحوية والبلاغية، وظف الشاعر القواعد العروضية ممثلة في القواعد العروضية: وتنطبق على النص الشعري القديم بصفة خاصة[1]، الذي تحكمه جملة من القواعد العروضية، وما يتعلق بها من خصائص وسمات، تشمل توزيع النبر والتنغيم والفصل والوصل والوقف، ولهذه السمات قيمة ووظيفة، فهي تكشف عن شخصية المتحدث وسنه وجنسه وطبقته الاجتماعية والأمة التي ينتسب إليها[2]، ويظهر ذلك في بيت الشاعر:

أبا خراشة أما أنت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

وبناء عليه يتكون بيت الشاعر من مصراعين أو شطرين، هما: الصدر والعجز، تفعيلات كل شطر هي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن، وهي من البحر البسيط الذي تتكرر فيه مستفعلن وفاعل بالتناوب في كل شطر (أ. ب. أ. ب) كالتالي:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

أ ب أ ب أ ب أ ب

وقد ورد في بيت الشاعر على النحو التالي:

أبـا خـراشـة أم ما أ نـت ذا نـفـر فإن قـو مي لم تـأكـلـهم الـضـبـع

0 // 0 | 0// / | / 0// 0 | / 0// | 0// / | / / | 0 / | 0// /0 | / 0//0 | 0 ///

مـتـفـعلن | فعـلن | مسـتـفعـلن | فعـلن | متفعلـن | فعـلن | مسـتـفـعـلن

وبناء على هذه التفعيلات، يمكن أن نفرق بين الجملة العروضية والجملة النحوية؛ فالأولى أساسها التفعيلات بحسب البحر الذي تنتمي إليه، كبحر البسيط في بيت نص الشاهد (متفعلن فعلن مستفعلن فعلن) التي تقابل كلمات الشطر الأول "أبا خراشة أما أنت ذا نفر" التي تقابل نحويا

[1]. غني عن البيان أن الشعر الحديث، لا يعتمد على البحور الشعرية الخليلية، وإنما يعتمد على السطر الشعري الذي يقوم على التفعيلة الواحدة والموسيقى الداخلية.

[2]. ينظر: خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، ص82.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

جملتين: جملة النداء "أبا خراشة" والجملة الاسمية الخبرية "أنت ذا نفر" والجملة الفعلية المؤكدة "فإن قومي لم تأكلهم الضبع" في الشطر الثاني.

خاتمة ونتائج:

بعد استعراضنا باختصار لنموذجي النحو القديم والنحو الوظيفي الحديث، يمكن أن نخلص إلى جملة من الملاحظات أو النتائج أهمها:

- تقاطع نموذج نحو الخطاب الوظيفي الحديث مع نموذج النحو القديم في البنية التركيبية بصفة خاصة،
- تكامل النموذجين فيما بينهما،
- يكتفي النحو القديم بالتمثيل للقاعدة النحوية والبنية الإعرابية، ضمن إطار بنية الكلمة أو الجملة،
- يتجاوز النحو الوظيفي بصفة عامة، ونموذج نحو الخطاب الوظيفي بصفة خاصة، إطار الجملة إلى النص أو الخطاب،
- هـ. لا يكتفي النحو الوظيفي بصفة عامة، ونموذج الخطاب الوظيفي بصفة خاصة، بالتمثيل للوظائف النحوية التركيبية؛ بل يتعداها إلى التمثيل للوظائف الدلالية والوظائف التداولية،
- و. يمتاز النحو الوظيفي، خاصة نموذج نحو الخطاب الوظيفي بالشمولية والدقة والوضوح، فهو يشمل جميع المستويات اللغوية: المستوى الصرفي ـ التركيبي والدلالي والتداولي، والصوتي ـ الفونولوجي،
- ز. الربط الواضح بين النحو والبلاغة في نحو الخطاب الوظيفي من خلال تخصيص قسم خاص للمستوى البلاغي،
- ج. امتلاك نموذج نحو الخطاب الوظيفي منهجية دقيقة واضحة الملامح.

https://www.linguist.ma
ISSN: 2665-7406 E-ISSN: 2737-8586

مصادر البحث ومراجعه:

- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، منشورات دار الثقافة، الدار البيضاء 1985م.
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان ط1، الرباط 2001م.
- أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي-التركيبي، دار الأمان، الرباط 1996م.
- خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر 2000م.
- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2 تونس 1982م.
- ابن مالك، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث القاهرة.
- نعيمة الزهري، الوصف الأدبي في نحو الخطاب الوظيفي، في: أعمال ندوة المنحى الوظيفي في اللسانيات العربية وآفاقه، سلسلة الندوات رقم: 20 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس 2009م.
- Vanoye Francis: Expression Communication, Librairie, Armand Colin, Paris 1973.